محمود مرسى خلف

بسهولة شديدة انتقلت من الطريقة البيومية إلى الطريقة الماركسية، ومن صناعة الأحجبة وفك العمل إلى صناعة الثورة.
محمود مرسى «من حواره معى»

اسم العائلة «الهوارى» منح رجالها مهابة خاصة، رغم الفقر الشديد، فالأب عامل بسيط فى مجلس بلدى الفيوم، الجد كان يمتلك فدانين لكنه عاش كما يزعم محمود ١٥٦ عاما تزوج خلالها تسع زوجات وأنجب ثمانية عشر ابنا وبنتا، واقتسام الفدانين بين هذا الجيش من الورثة يعنى لا شىء لكل منهم، وكالعادة ذهب محمود إلى الكتاب فى السادسة من عمره ومعه أخوه الأكبر «سبع سنوات» الأخ حفظ القرآن وختمه أما هو فقد حفظ ثلث القرآن ثم إلى المدرسة الإلزامية متفوقا بفضل ما حفظ من قرآن، وبعد تخرجه كان يحلم بأن يدخل مدرسة المعلمين ليتخرج بعد خمس سنوات «معلما» قد الدنيا، لكن الأب لا حيلة له مع الفقر والمدرسة فى بنى سويف ولا قرش واحد فائض وحسم الأب أمره وأرسل الولد محمود ليعمل فى محل خاله الجزمجى الشهير فى الفيوم، رغم أنفه ذهب الولد وأصبح جزمجيا، كان يعشق القراءة يصحب معه المصحف يقرأ فيه فى أى وقت فراغ، وحتى وهو فى الطريق كان يلتقط أى ورقة مكتوبة ليقرأ ما فيها، أصبح جزمجى شاطر وكان أجره ١٥ قرشا فى الأسبوع خصصها جميعا لشراء ما يقرأ، وكان يقرأ وفقط تقريبا فى الكتب الدينية التى قادته إلى التصوف وأخذ عهدا على شيخ الطريقة البيومية، وبسرعة مذهلة حفظ الأناشيد والأوراد وتفوق على الجميع وأصبح واحدا من أبرز شيوخ الطريقة البيومية فى الفيوم، وناداه الجميع وهو لم يزل صغيرا الشيخ محمود، لكن الشيخ تعلقت أبصاره بجارة له غاية فى الجمال ولم يجد سبيلا لمغازلتها وهو شيخ محترم سوى إقامة حلقة ذكر فى بيته، والتفت حوله الحلقة ووقف فى الوسط منشدا وهى واقفة فى زحام المتفرجين من الجيران

متى يا كرام الحى عينى تراكم
واسمع من تلك الديار نداكم
أمر على الأعتاب من غير حاجة
لعلى أراكم أو أرى من يراكم

كان ينشد وهو يتطوح وعيناه عليها ولعلها فهمت رسالة سيدنا الشيخ، لكن محبوبته تموت وهى بعد صبية صغيرة فينطوى قلبه على حزن عميق وينغمس أكثر فأكثر فى الكتب الدينية وكثير منها يختلط مع حديث كثير عن السحر، ثم انتقل إلى مايسمى بـ «كتب الأعمال السفلية»، ثم قرر أن يجرب نفسه كتب حجابا لفتاة تحلم بالزواج فتزوجت على الفور فصدق نفسه وصدق الناس، وذاع صيت الشيخ محمود، وفى عام ١٩٤٧ التهبت مصر وتحول سيدنا الشيخ إلى قراءة الصحف والمجلات، وفى حقل السياسة تراوحت أفكاره ما بين الوفد والإخوان، الإخوان لم يستطيعوا اجتذابه فظلت مشاعره تتجه نحو الوفد، فالناس مع الوفد وأبوه أنصفه قانون الإنصاف فقفز مرتبه من ١٨٠ قرشا إلى ثلاثة جنيهات، كان بائع الجرائد جابر بريقع يحضر له كل يوم لفافة صحف وذات يوم حضر مع اللفافة ورقة خضراء عنوانها «ميثاق استكهولم من أجل السلام» وسأله تحب توقع على دى يا سيدنا الشيخ؟ كان قد قرأ فى الصحف أن الشيوعيين هم الذين يجمعون هذه التوقيعات ووقع على الفور فالصوفية تنزع إلى سلام النفس وسلام الإنسانية وقرر أن يجمع توقيعات أتباعه من الصوفيين وفى اليوم التالى حضر بياع الجرايد ومعه الأستاذ حلمى رمضان المدرس. كان محمود قد طلب مقابلة من أحضر هذه الأوراق من مصر واستجاب جابر، ومباشرة قال الشيخ: أنا عايز أقابل حد من الشيوعيين علشان أفهم إيه حكاية ميثاق استكهولم ده، فحاول حلمى رمضان أن يفض الاشتباك بين الشيوعية وحركة السلام وظل يلف ويدور لكن الشيخ الذى تعود على قراءة كتب العلم السفلى وأبرمعشر صمم على طلبه وبالفعل قابله سعد رحمى لم يفتح سعد أى موضوع فقط ناوله نشرة الكفاح السرية على غلافها صورة الملك فاروق وعلى رأسها حذاء بدلا من التاج «كان فاروق لم يزل ملكا».

ويقول الشيخ محمود «سألت سؤالا أو سؤالين من قبيل إرضاء الذات لكن الإحساس الصوفى أشعرنى أننى دخلت عالم الوجد الصوفى ولكن من باب الشيوعية. أنشأ عديدا

من لجان السلام فى الفيوم ونقابة لصانعى الأحذية وأصبح رئيسا لها وعندما أسس خلية لحدتو فى قرية العجميين حيث يعمل الجميع فى صناعة أقفاص الجريد والمقاطف شكوا له من استغلال التجار لهم فأسس محمود جمعية تعاونية لهم، ورويدا رويدا أصبح الشيخ محمود زعيما فى الفيوم، وانتهج أسلوبا جديدا فمع أى حدث يصدر الشيخ محمود بيانا يطبعه فى مطبعة صديق له يشرح فيه وجهة نظره ويعطى معلومات عن الحدث ويوقع «محمود مرسى خلف درب الطباخين» ورويدا رويدا أصبح الشيخ الشيوعى زعيما ففى درب الطباخين حيث يسكن عديد من الخلايا وكذلك فى قرية العجميين وفى عديد من القرى المحيطة وأصبح رفاقه يشكلون أغلبية مجلس إدارة نقابة المعلمين وكثير منهم تطوعوا للعمل كمتطوعين فى الإسعاف وتأتى حركة الجيش ويلتقى معهم الرفيق هاشم «محمود توفيق» ويتسع النشاط أكثر فأكثر، ولكن التصادم مع الثورة أتى بعد الإصرار على مطالبة حدتو بالديمقراطية مسئول الاتصال «كان كمساريا فى الأتوبيس بين القاهرة والفيوم» أحضر لفافة بها منشور عنوانه «تسقط الديكتاتورية العسكرية» ويوزع المنشور بحماس ثم يكون القبض عليه والسجن ثلاث سنوات، قبلها كان قد طلق زوجته، أبوها قال له إما أن تطلق الشيوعية أو تطلق ابنتى، وانتظر محمود حتى يسمع فقالت الزوجة نفس الشىء فطلقها هى ولم يطلق المبدأ.

وبعد الإفراج عنه واصل مسيرته، وأثناء العدوان الثلاثى جمع الشيخ محمود كل الرفاق لينضموا إلى الحرس الوطنى، وتدربوا، لكن أعين الأمن كانت تترصدهم، محمود فتح محلا لصناعة الأحذية، استعاد مهنته القديمة وظل يواصل النضال، وظلوا يراقبونه وذات يوم استعاد عزيمته الصوفية كانت الشمس حارقة وخرج من الدكان فى عز الظهر ومشى.. مشى.. مشى أربع ساعات تلفت فلم ير المخبر الذى كان يراقبه، بعدها جاءه مخبر آخر، قال إن زميله أخذ ضربة شمس ويرقد فى المستشفى واتفقا على ألا يلاحقه المخبرون بشرط أن يقدم لهم تقريرا عن تحركات وهمية ليقدموها لحضرة الضابط، وبعدها اكتشف محمود الحقيقة فالمخبرون أبلغوا بعضهم البعض أن الشيخ محمود يسلط عليهم بعض أدواته فى العالم السفلى وأصبحوا يخافون منه، وفى أول يناير ١٩٥٩ يقبض عليه ومحاكمة عسكرية وثلاث سنوات أخرى.. ومن السجن إلى المعتقل، ويفرج عنه ليتولى وظيفة صغيرة فى مجلس مدينة الفيوم.. ويأتى التجمع فيأتى محمود ليواصل نضاله فى صفوفه.